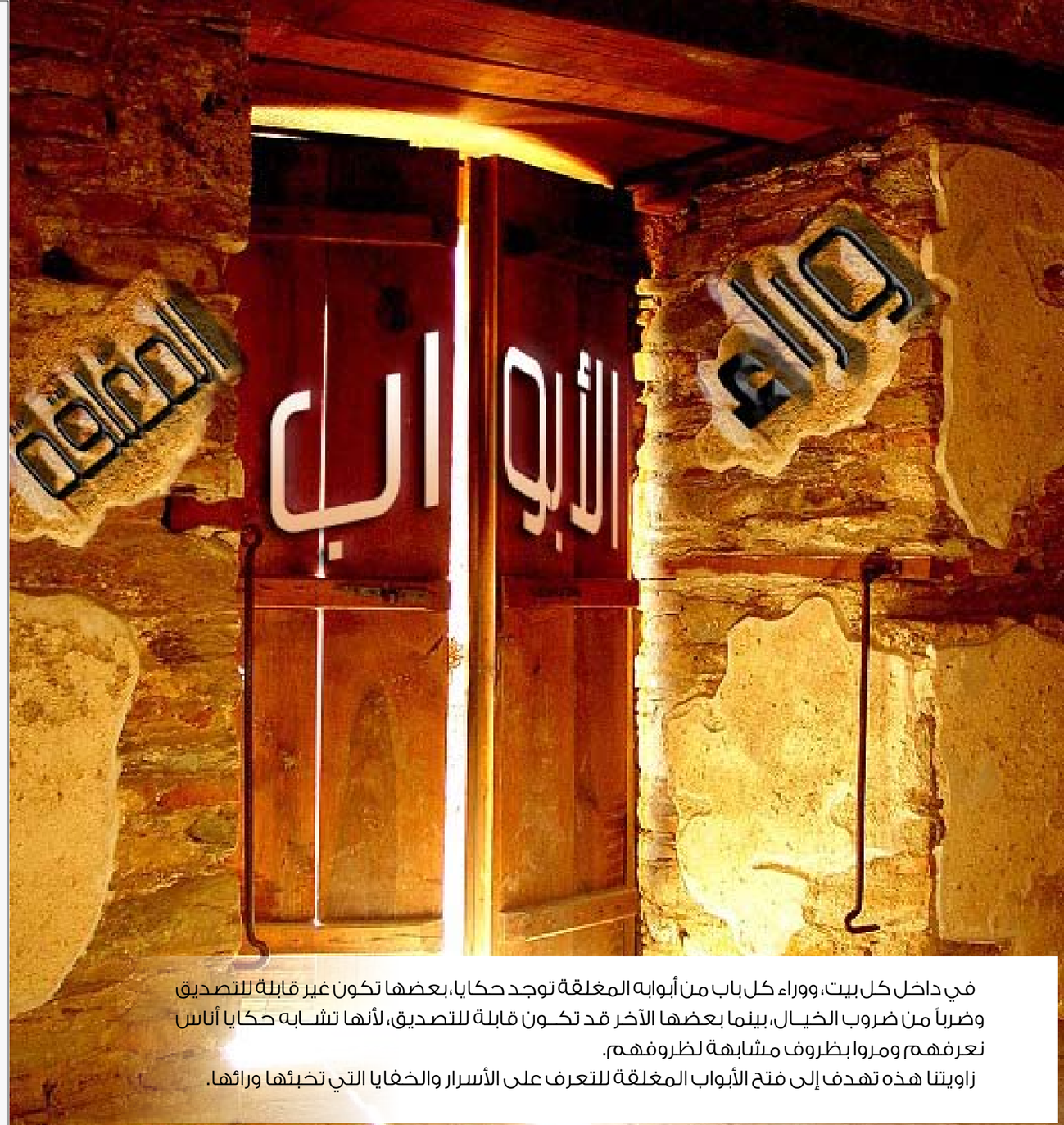

وراء الأبواب المغلقة

في داخل كل بيت، ووراء كل باب من أبوابه المغلقة توجد حكايا، بعضها تكون غير قابلة للتصديق وضرباً من ضروب الخيال، بينما بعضها الآخر قد تكون قابلة للتصديق، لأنها تشابه حكايا أناس نعرفهم ومروا بظروف مشابهة لظروفهم.

زاويتنا هذه تهدف إلى فتح الأبواب المغلقة للتعرف على الأسرار والخفايا التي تخبئها ورائها.

أثمار هاشم
Athmar2006@maktoob.com

بدبلة فقط لا غير، وفي المطبخ وبينما كنت منهمكة بغسل الأواني دخل علي وألبسني إياها ليغادر بعدها مباشرة ودون أي كلمة متوجهاً إلى المطار ليسافر للدراسة في الخارج. هكذا بدون مدعوين أو أي مظهر من مظاهر الفرح تمت خطبتي لابن عمي ، الذي عشت عمري بأكمله احلم بأن يكون ارتباطي به حدثاً سعيداً ، بعد أن كبرت وأنا على يقين أننا لبعضنا كما اعتدت أن اسمع ذلك من الجميع . انقضت احد عشرة عاماً ، أنهى فيها خطيبي وأبن عمي دراسته في الخارج وبقي يعمل هناك فيما بقيت أنا طوال تلك الفترة انتظره واصبَر نفسي بتلك الدبلة التي وضعها حول إصبعي . فلقد كان حبه في قلبي كبيراً لدرجة أنه يصعب عليَ أن أتخيل نفسي لرجل غيره، مسامحة إياه على عدم تذكره لي ولو حتى برسالة يسأل فيها عن أحوالي ، ومع هذا كان الحلم بعودته وبالزواج الذي سيتم حينها والذي كنت أريده تعويضا عن الخطوبة التعيسة التي تمت ، فقد عاهدت نفسي أنه بعد زواجنا سأعمل المستحيل لأجعله اسعد رجل في العالم المهم فقط أن يعود .وعاد من غربته أخيراً بعد أن بدأ اليأس يتسرب إلى نفسي وأنا اسعي جاهدة لإخفائه عن أعين الجميع ، وكان اشد لحظات يأسي تنتابني كلما سمعت عن صديقة أو جارة تزوجت وأنجبت وأصبح أولادها في المدارس فيما أنا على حالي ، بعد أن رفضت نصيحتهن بفسخ الخطبة.

تم زواجنا والذي لم يكن كبيراً كما تمنيته ومع هذا لم استطع الاعتراض ، فكيف لفتاة يتيمة لا أب لها ولا أم أن تعترض ؟ يكفي أن تقبل قدرها بالزواج من ابن عمها بتلك الطريقة ، وعاد لغربته من جديد بعد أيام قليلة من الزواج لم تكفها لتشبع عطش سنين غربته وابتعاده ،" ليتركني عند أهله (بيت عمي) ليتحكم بي أشقائه وزوجاتهم كيفما أرادوا وكأني خادمة لهم، حتى عندما استدعت الحاجة بأن يذهب أحدهم إلى القرية ويشرف على الأرض فيها اختاروني أنا، التي ولدت في المدينة وتربيت فيها لأذهب إلى هناك بعد أن رفض الجميع الذهاب حتى زوجات أشقاء زوجي رفضن العودة إلى القرية ، وهن اللواتي نشأن فيها ولم ينتقلن للمدينة إلا بعد زواجهن وخضعت للذهاب إلى القرية بعد أن اتصل زوجي من غربته مهدداً إياي بالطلاق إن لم اذهب إلى هناك .وعشت أياماً صعبة وقاسية في ذلك المكان البعيد عن المدينة التي اعتدت عليها إلى أن كان يوم شعرت فيه بضيق شديد وبعدم قدرتي على البقاء في تلك القرية فقررت العودة إلى المدينة لأفاجأ بأن خالتي التي تحملت عبء تربيتي بعد وفاة والدي مريضة جداً ، ولم يكلف أحداً نفسه بأخباري فلا احد لها سواي في هذه الدنيا . فاتخذت قراري بالبقاء قربها وكان عقابي على ذلك طلاقي .وبفضل من الله تعافت خالتي من مرضها وساعدتني على العمل من داخل المنزل ، بعد أن اشترت لي ماكينة خياطة لأتمكن من خلالها من إعالتها وإعالة نفسي . وبعد سنوات من الطلاق حاول المصلحون إعادتنا أنا وزوجي لبعضنا ونجحوا بالفعل في مسعاهم هذا وعدنا زوجين ، ولكن أي زوجين كنا كغريبين يحضر الصمت بيننا أكثر من أي شيء آخر ، فزوجي كان رجلاً بارد المشاعر لم يعبر لي يوما عن حبه ، وكأنه كثير علي أن اسمع مثل تلك الكلمة وأنا التي أوقفت حياتي عليه ، وأوصدت أبواب قلبي عليه ولم اسمح بدخول رجلاً آخر غيره ، حتى عند طلاقي منه لم أفكر بمجرد النظر لأي رجل آخر، ومع هذا فأنه يعاملني بتلك الطريقة الجافة . ولم يسعفني الوقت لمعرفة إجابات أسئلتي تلك لأنه وبمنتهى البساطة تركني وراح يبحث عن حياته بمكان آخر، ولكن مع فارق واحد هذه المرة فهو لم يتركني وحدي بل تركني بعدما رمي بذرته في أحشائي الذي خرج إلي الدنيا وأصبح الآن شاباً لايعرف عن والده شيئاً سوى ذلك الاسم المدون في شهادة ميلاده، أما أنا فعدت من جديد للعمل على ماكينة الخياطة وفي كل مرة افلح فيها في خياطة ثوب جديد أو ترقيع آخر قديم ، تمنيت لو كان بمقدوري أن أعيد ترقيع ماتلف من حياتي ، التي فيها الحزن أكثر من المسرات والدموع أكثر من الضحكات ، والسبب في ذلك هو الحب الذي منحته لرجل لا يستحقه ، تركني الآن معلقة بين الأرض والسماء فلا أنا بالمتزوجة ولا أنا بالمطلقة.